

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن الكريم



يقول الله تعالى في محكم كتابه:

- 1- (وَلَا تَكُونُوا مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران/ 104).
- 2- (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران/ 110).
- 3- (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة/ 71).

تمهيد

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الفرائض الإسلامية، حيث يهدف إلى إصلاح المجتمع الإنساني والحفاظ على الشريعة الإسلامية من التمزيق والتبديل، فالنهي عن المنكر يحرص الفرد والمجتمع والأُمَّة من الانحرافات السلوكية والروحية، والأمر بالمعروف يكتسب الفرد والمجتمع والأُمَّة الفضائل السلوكية والروحية.

وهو ضمان بقاء تعاليم الدين وقيمته حيّة، فيه انتشر الدين الإسلامي في أصقاع الأرض، وبه أُقيمت أركان الدين وفروعه.

وهذا ما يؤكدّه كثير من الآيات والروايات، فعن أمير المؤمنين (ع): "قوام الشريعة الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود".

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب الفلاح:

وقد اهتمَّ القرآن الكريم بهذه الفريضة: قال تعالى: (وَلَا تَكُنْ مِّنْ أُمَّةٍ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعَمْرِوِّ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخلاق □ سبحانه، فعن أمير المؤمنين (ع): "إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق □ سبحانه".

وماذا يعني أنَّهما خلقان من أخلاق □ سبحانه؟

الجواب: إنَّ في صفات □ سبحانه أنَّه يأمر بالمعروف كما قال في كتابه الكريم: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل/ 90).

وقال أيضاً: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) (الأعراف/ 29).

وفي المقابل خلق الشيطان هو عكس خلق □ سبحانه حيث إنَّ الشيطان يأمر بالفحشاء وفعل السيئات، يقول سبحانه: (الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) (البقرة/ 268).

ويقول تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنََّّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة/ 168-169).

وسمة المنافقين الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، يقول تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) (التوبة/ 67).

فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلق □، وعكسه خلق الشيطان والمنافقين فحريٌّ بنا أن نكون متخلِّقين بأخلاق خالقنا وتاركين لأخلاق أعداء □ وأعدائنا الشياطين والمنافقين.

- انتشار المنكر والفساد:

لقد حذَّر نبيُّنا (ص) من انتشار المنكر والفساد، لما يحمل ذلك من تبعات خطيرة على الأُمَّة في الدنيا والآخرة.

فعن أمير المؤمنين (ع) من قلب متوجِّع: "فإنَّنا □ وإنا إليه راجعون، طهر الفساد، فلا مكر مغيِّر، ولا زاجر مزدجر، أفبهذا تريدون أن تُجاوروا □ في دار قدسه، وتكونوا أعزَّ أوليائه عنده؟ هيهات! لا يُخدع □ من جنِّته".

وهذا الحديث ينطبق على عصرنا أيضاً، فقد انتشر المنكر والفساد وليس هناك من يُنكر إلا قليل من المؤمنين، وقد قلَّ المعروف وليس هناك من يأمر إلا قليل من الصالحين!

فليتحمل كلُّ واحدٍ منَّا مسؤوليَّته حسب استطاعته، حتَّى لا يعمَّنا غضب □.

يقول تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَذَرُونَ
عَنْ مُذْكَرٍ فَعْلَاهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (المائدة/ 78-79).

وعن أمير الكلام علي (ع) في النهج الشريف "وإنَّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمَّهم الله بالعذاب لما عمَّوه بالرضى".

ولكنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس أمراً عشوائياً فوضوياً بلا قاعدة ونظام، بل هناك أسس ينبغي مراعاتها:

- مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنَّ توجيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الآخرين ثقیل جدّاً عليهم، لأنَّ ذلك يجعل المأمور والمنهي في موقع التخطئة والتفريع، الأمر الذي يخدش عزَّته وكبريائه ويؤذي نفسه. يقول لقمان "إنَّ الموعدة تشقُّ على السفيه كما يشقُّ الصعود على الشيخ الكبير".

من هنا علينا معرفة مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقاعدة الأولى هي الرفق والكلمة الطيبة، يقول تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل/ 125).

1- فلنختار الكلمة الطيبة الرفيعة ما وسعنا ذلك، كما يقول الأمير (ع): "وارفق ما كان الرفق أرفق".

2- وعلينا بالتودُّد: "فالتودُّد نصف العقل"، وذلك بالبشاشة: "والبشاشة حباله المودَّة".

إذا لم تنفع هذه الخطوة والمرتبة نأتي إلى مراتب أخرى ذُكرت في الكتب الفقهية، وهي النهي باللسان فإن لم ينفع فالنهي باليد.

ولكن إذا لم تنفع كلُّ المراتب ينبغي الإنكار القلبي الذي يعني عدم الرضى وبغض المعصية والمنكر، وهذا الإنكار هو أضعف إنكار.

وحدار: أن لا تُنكر ولو قلباً وإلا أصبحنا راضين عن المنكر فيعمُّنا غضب الله فعن الإمام علي (ع): "من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه".

وعنه (ع): "الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كلِّ داخل في باطل إثم: إثم العمل به، وإثم الرضى به".

عن رسول الله (ص): "لقد أوحى الله لي فيما مضى قبلكم إلى جبرئيل فأمره أن يخسف ببلد يشتمل على الكفار والفجار، فقال جبرئيل: يا ربِّ اخسف بهم إلا بفلان الزاهد؟... فقال الله تعالى: بل اخسف بهم وبفلان قبلهم، فسأل ربِّه، فقال ربِّ عرِّفني لم ذلك فهو زاهد عابد؟ قال: مكَّنت له وأقدرته فهو لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر، وكان يتوفَّر على حبِّهم.. فقالوا: يا رسول الله فكيف بنا ونحن لا نقدر على إنكار ما نشاهده من منكر. فقال رسول الله (ص): لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهينَّ عن المنكر أو ليعمَّكم الله بعذاب. ثمَّ قال: من رأى منكراً فلينكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنَّه لذلك كاره".

وعن الإمام الصادق (ع): "إنَّ الله بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها فلمَّا انتهيا إلى المدينة وجدوا فيها رجلاً يدعو ويتضرَّع... فعاد أحدهما إلى الله، فقال: يا ربِّ إنَّني انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرَّع إليك، فقال الله عزَّ وجلَّ: إمض لما أمرتك به، فإنَّ ذا رجل لم يتمعَّر وجهه غيظاً لي قط".

- صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

1- العلم بما يأمر وينهى:

عن رسول الله (ص): "ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به، عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به، عالم بما ينهى عنه".

نستنتج من قول رسول الله (ص) أن على الأمر والنهي أن يكون عالماً بالمعروف والمنكر ليأمن من الخطأ.

فكيف للجاهل أن يعلم، ففاقد الشيء لا يعطيه، والجاهل يفسد أكثر مما يصلح.

2- مؤتمراً بما يأمر منتهياً عما ينهى:

من صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يكون مؤتمراً بما يأمر منتهياً عما ينهى حتى يؤثّر كلامه في الآخرين.

يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَذِبٌ مَقْتَدًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (الصف / 2-3).

وقال سبحانه: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ عَنْ فَسَادِكُمْ * وَأَنْتُمْ تَسْتَلُونَ الْكِتَابَ أَنْ تُفَلَّاتَ تَعْقِلُونَ) (البقرة / 44).

ويقول أمير المؤمنين (ع): "وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه، فإنما أُرتم بالنهي بعد التناهي".

ويقول لقمان لابنه: "يا بني... وأمر بالمعروف وانته عن المنكر، وابدأ بنفسك".

يقول الشاعر: يا أيُّها الرجل المعلنٌ غيرهُ **** هُلا لنفسك كان ذا التعليم تصف

الدواء الذي السقام وذي الضنى **** كيما يصحُّ به وأنت سقيم وأراك تُصلح بالرشاد

عقولنا **** أبدأً وأنت من الرشاد عقيم لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله **** عارٌ عليك إذا

فعلت عظيم أبدأً بنفسك فانهها عن غيرِها **** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم فهناك يتقبل ما

وعظت ويقتدى **** بالعلم منك وينفع التعليم

ومثَّلُ الأمر والنهي غير المأتمر والمنتهى كما قال لقمان وهو يعظ ابنه: "يا بني، لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك، فيكون مثلك مثل السراج يُضيء للناس ويحرق نفسه".

ولقد "لعن الله الأمريين بالمعروف التاركين له والناهيين عن المنكر العاملين به" كما يقول أمير المؤمنين (ع). وقد كان أنبياء الله والأئمة (ع) قدوة بالعمل قبل أن يقولوا فعن الأمير (ع): "أيُّها الناس إنِّي وإني، ما أحثُّكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها".

3- الرفق:

ينبغي أن يكون الأمر والناهي رفيقاً، هدفه هداية الناس ونصحهم، لا تفريعهم وإحراجهم، وتنفيس غيظه وغضبه، فعليه أن يكون ناصحاً لا موبِّخاً.

ختم الحديث: بعد هذا العرض الوجيز لأهمية فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما يترتب من أثر سيئ على تركها، في الدنيا والآخرة، ينبغي علينا أن نُقيم هذه الفريضة العظيمة، التي بها حياة أمّتنا وتطوّرها وارتقاؤها وتكاملها، وأن نتحلّى بصفات الأمرين الحقيقيين، حتى يكون لكلامنا أثره، ولفعلنا قبل كلامنا تأثيره.

المصدر: كتاب (...) وذكرى للمؤمنين/ سلسلة الدروس الثقافية (31)